من حديث القلب والفكر

الحياة العقيمة البليدة موت

الأستاذ عصام العطار

لقد صرفتُ فُتُوَّتي وشبابي وجُلَّ حياتي في العمل

عملٌ دائب مُرْهِق ذهب بكثير من ثماره المرجوّة أمورٌ وأمـــور ، وظـــروفٌ وظروف

وأصابني في غربتي ما أصابني من فَقْدٍ وشدّةٍ ومرض

وأُمسِكُ الآن بالقلم ، بعد أن عجزتُ – أو كدتُ أعجز – عن العمل ، فلا تكاد تقوى يدي الضعيفة المرتجفة على الإمساك بالقلم ..

ويقول لي بعض إخواني وأصدقائي المشفقين :

– لماذا لا تُخْلِدُ إلى الراحة وقد بلغتَ هذه السنّ ، وهذه الدرجة من الضعف ، وأدّيتَ في ماضيات أيامك ما عليك من واجب ؟!

يا إخواني وأصدقائي!

– أنا لم أؤدّ واحداً من مائة من واجبي ؛ فَحَقُّ اللهِ علينا ، وحقُّ ديننا ، وحقُّ أمتنا وبلادنا ، وحقّ الإنسانية والإنسان .. أكبر ممّا قدّمناه ونقدّمه بكثير

يا إخواني وأصدقائي!

– كيف يستطيع مسلم ، بل كيف يستطيع إنسان ، له سمعٌ وبصر ، وإحساسٌ وشعور ، وشرف وضمير ، وهو يرى ما نراه في عالمنا من الـــدماء والـــدموع ، والمظالم والمآسي ، والكوارث والفواجِع والمواجِع .. أن يقعد ويتفرّج من بعيـــد وكأنه ينظر إلى فيلم سينمائي ؟!

كيف يمكن لإنسان يرى ما نراه أن يَغْمُضَ له جفن ، أو يَطْمَئِنَّ به مَضْجع أو يستريح إلى طعام وشراب وحياة هادئة هانئة وادعة مسترخية .. إلاّ إذا انطفأ في قلبه الإيمان ، وماتت فيه إنسانية الإنسان

يا إخواني ويا أصدقائي وقرائي!

هيّا بنا ، ولْنَنْهَضْ من كَبْوَتِنا ورَقْدَتِنا ، ولْنَتَحَرَّرْ مـــن عجزنـــا وكـــسلنا ، ولْيُبادرْ كلٌّ منا – مهما كانت حالته وقدرته – إلى أداء أقصى ما يستطيعه مـــن واجبه الدينيّ والوطنيّ والإنسانيّ ، الفرديّ والجماعيّ ، قَلَّ ذلك أو كَثُر ، وسَهُلَ ذلك أو عَسِر ؛ فأداء الواجب بإخلاص وعلم وإتقان شرفُ الدنيا والآخرة

والموتُ – يا إخواني – في ميدانِ العملِ والواجبِ حياة

والحياةُ العقيمةُ البليدة الحقيرة موتٌ وخسارٌ مهما طالت بها الأيام